Jordan Journal of Islamic Studies

Volume 15 | Issue 2 Article 12

6-3-2019

أثر السياق القرآني في الكشف عن المعاني عند ابن جزي الكلبي Impact of the quranic context on exploring meaning as seen by Ibn juzayy al-kalbi

Suleiman Mohammed Al-Dagour
Jordan University, s.dgoor@hotmail.com

Amina Salman Al-Azazma
-

Follow this and additional works at: https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jois

Part of the Islamic Studies Commons

Recommended Citation

Al-Dagour, Suleiman Mohammed and Al-Azazma, Amina Salman (2019) "أثر السياق القرآني في الكشف عن المعاني عند ابن جزي الكلبي Impact of the quranic context on exploring meaning as seen by Ibn juzayy al-kalbi," *Jordan Journal of Islamic Studies*: Vol. 15: Iss. 2, Article 12.
Available at: https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jois/vol15/iss2/12

This Article is brought to you for free and open access by Arab Journals Platform. It has been accepted for inclusion in Jordan Journal of Islamic Studies by an authorized editor. The journal is hosted on Digital Commons, an Elsevier platform. For more information, please contact rakan@aaru.edu.jo, marah@aaru.edu.jo, u.murad@aaru.edu.jo.

ur and Al-Azazma: ??? ?????? ??????? ?? ????? ?? ??????? ??? ??? ??? ?????? Impact of the quranic context on exploring meaning as seen by Ibn juzayy

أثر السياق القرآني في الكشف عن المعاني عند ابن جزي الكلبي

د. سليمان محمد الدقور* أ. أمينة سلمان العزازمة*

تاريخ وصول البحث: ٢٠١٨/٢/١١م تاريخ قبول البحث: ٢٠١٨/٤/١م

ملخص

تناول هذا البحث أثر السياق القرآني واعتبار دلالته في تفسير ابن جزي الكلبي المسمى (التسهيل لعلوم التنزيل)، وهو من المفسرين الذين أولوا دلالة السياق عناية فائقة بوصفها أصلاً من أصول التفسير، وقد تناول هذا البحث تعريف السياق في اللغة والاصطلاح، ثم عرّج على بيان أهمية السياق في الكشف عن المعاني، وتم استقراء المواضع التي اعتمد فيها ابن جزي دلالة السياق بحسب ما يندرج تحت دلالة السياق من أصول معتبرة عنده.

Abstract

This research discussed the impact of Quranic context and a concern of its sigmficance into Ibn juzayy al-kalbi exegesis which named (Altashil lieulum altafsir). He is one of interpreters who gave the sigmficance of context a special concern as one of exegesis (Tafsir) foundations. The research also shows adefinition of context both in language and terminology, then it displays the importance of context on exploring meaning.the placements were inductive which Ibn juzayy rely on context sigmficance according to what fall under context sigmficance of the assets of his own.

المقدمة.

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن والاه، وبعد:

فإن الكشف عن معاني الرسالة الربانية التي نزلت هداية للبشرية يجب أن يكون شغل المشتغلين، لما في ذلك من الخير العميم على الخلق أجمعين.

وللكشف عن هذا أصول وأدوات لا ينبغي تجاوزها لمن أراد جني ثمار التفسير، ومن هذه الأصول السياق القرآني.

ولابن جزي الكلبي –رحمه الله– عناية خاصة بالسياق القرآني، فقد وظّفه واستفاد منه في بناء تفسيره من خلال أصول ثابتة منها: أنه عَدّ السياق القرآني وجهاً من وجوه الترجيح بين الأقوال، واعتمده كذلك لاستنباط بعض الأحكام الفقهية، ولتحديد ما يعود عليه الضمير، وتقدير ما حذف من الكلام وغير ذلك، واستخراج الهدايات، وكذلك إطلاق التعميمات، وقد اقتصر هذا البحث على دراسة المواضع التي صرح فيها ابن جزي باعتماده على دلالة السياق؛ إذ إن التوسع فيما لم يصرح به لا يمكن أن يغطيه بحث محدود الصفحات.

مشكلة الدراسة.

كانت مشكلة الدراسة تتمثل في السؤال الآتي:

كيف وظّف الإمام ابن جزي الكلبي دلالة السياق القرآني في الكشف عن المعاني في المواضع التي صرّح فيها باعتماده

* أستاذ مشارك، الجامعة الأردنية.

** باحثة.

Published by Arab Journals Platform, 2019

Jordan Journal of Islamic Studies, Vol. 15 [2019], Iss. 2, Art. 12

على دلالة السياق في التفسير؟

أهمية الموضوع وأسباب اختياره.

تأتي أهمية هذا الموضوع من حيث إن دلالة السياق القرآني من الأصول التي اعتنى بها المفسر ابن جزي الكلبي في تفسيره، ومن الأهمية بمكان الوصول إلى الأصول التي ارتكز إليها في توظيفه لدلالة السياق في تفسيره.

أما أسباب اختياري لهذا الموضوع فهي كالآتي:

١- إيجاد دراسة تعتني بجزئية دلالة السياق عند ابن جزي خصوصاً، حيث إن هذه المسألة لم تنل العناية اللازمة من قبل الباحثين.

٢- دور ابن جزي الكلبي في التأصيل والتطبيق فيما يخص دلالة السياق.

٣- القيمة الكبيرة التي تمتلكها دلالة السياق القرآني إذا تم التعامل معها بأصولها المعتبرة وهذا ما فعله ابن جزي في تفسيره.

أهداف الدراسة.

١- بيان مفهوم السياق في اللغة والاصطلاح.

٢- بيان أهمية دلالة السياق القرآني في الكشف عن المعنى القرآني.

٣- بيان الأصول التفسيرية المتعلقة بالسياق القرآني والتي صرح بها ابن جزي الكلبي في تفسيره (التسهيل لعلوم التنزيل).

محددات الدراسة.

١- تقتصر هذه الدراسة على تناول المواضع التي صرح ابن جزي فيها باعتماده على دلالة السياق القرآني للوصول إلى المعاني.

٢- لم تذكر كل الشواهد التي تندرج تحت كل أصل تم التوصل إليه؛ وذلك لكفاية الشواهد المذكورة في الدلالة على الأصل التفسيري المعتمد.

منهج البحث.

١- المنهج الاستقرائي: وذلك من خلال استقراء المواضع التي صرَّح فيها ابن جزي باعتماده على دلالة السياق، ثم فرزها بحسب ما تندرج تحته من الأصول.

٢- المنهج الاستنباطي: وذلك من خلال ملاحظة واستنباط الأصل التفسيري المتعلق بالسياق والذي قام عليه تفسير كل موضع من المواضع التي تمت دراستها.

وبناء على ذلك جاء تقسيم البحث كالآتي:

مقدمة، تشمل أهمية الموضوع وأسباب اختياره، وأهداف الدراسة ومنهج البحث.

المبحث الأول: مفهوم السياق وأهميته.

المطلب الأول: مفهوم السياق في اللغة والاصطلاح.

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jois/vol15/iss2/12

ur and Al-Azazma: ??? ?????? ??????? ?? ????? ?? ??????? ??? ??? ??? ?????? Impact of the quranic context on exploring meaning as seen by Ibn juzayy

المطلب الثاني: أهمية السياق القرآني في تجلية المعاني.

المبحث الثاني: دلالة السياق القرآني عند ابن جزي.

المطلب الأول: اهتمام ابن جزي بدلالة السياق القرآني.

المطلب الثاني: دلالات استعمال السياق عند ابن جزي.

الخاتمة: وفيها أهم ما توصلت إليه الدراسة من نتائج وتوصيات.

المبحث الأول:
مفهوم السياق وأهميته.

المطلب الأول: مفهوم السياق في اللغة والاصطلاح.

أولاً: مفهوم السياق لغة.

ورد في معجم مقاييس اللغة أن: "السين والواو والقاف أصل واحد، وهو حَدْوُ الشَّيء"(١).

وبالرجوع إلى لسان العرب نجده يقول تحت مادة (سَوَقَ): "ساق الإبل وغيرها يسوقها سوقا وسياقا، وهو سائق وسواق، شدد للمبالغة، ... وقد انساقت وتساوقت الإبل تساوقا إذا تتابعت، وكذلك تقاودت فهي متقاودة ومتساوقة ...، والمساوقة: المتابعة كأن بعضها يسوق بعضا، ... وساق إليها الصداق والمهر سياقا و أساقه، وإن كان دراهم أو دنانير؛ لأن أصل الصداق عند العرب الإبل، وهي التي تساق، فاستعمل ذلك في الدرهم والدينار وغيرهما"(٢).

أما الزمخشري –رحمه الله– فقد نصَّ على المعاني المجازية التي تؤديها مادة (سَوَقَ)، فقال: "ومن المجاز: ساق الله إليه خيراً، وساق إليها المهر، وساقت الريح السحاب، ...، وهو يسوق الحديث أحسن سياق، وإليك يساق الحديث، وهذا الكلام مساقه إلى كذا"(٣).

السياق هنا في دلالته اللغوية يدل على التتابع والانسجام؛ فالإبل مثلا في سيرها منتظمة يمشي بعضها في إثر بعض بانسجام.

ويؤكد ذلك ما جاء في المعاجم المتأخرة ومنها المعجم الوسيط وفيه: "وَسِيَاق الْكَلَام تتابعه وأسلوبه الَّذِي يجْرِي عَلَيْهِ"(٤).

فإطلاق السياق على الكلام إذن معنى مجازي اقتضته حركة التوسُّع في المفاهيم الحسِّية عبر الزمن؛ تبعاً لتوسع الدلالات اللغوية.

ثانياً: مفهوم السياق اصطلاحاً.

يعد مصطلح "السياق" في الدراسات اللغوية الحديثة من المصطلحات العصية على التحديد الدقيق وإن كان يمثل نظرية دلالية من أكثر نظريات علم الدلالة تماسكاً وأضبطها منهجاً(٥).

وعلى الرغم من هذا الإطلاق في كون مصطلح السياق عصياً على التحديد، إلا أن هناك من تصدى لتعريفه بل وأجاد أيضا في تحديد أطر هذا المصطلح، وقد انقسمت هذه التعريفات إلى: تعريفات عامة للسياق اللغوي، وتعريفات خاصة بالسياق القرآني، فمن القسم الأول أن السياق هو: "إطار عام تنتظم فيه عناصر النص ووحداته اللغوية، ومقياس تتصل بوساطته الجمل فيما بينها وتترابط، وبيئة لغوية وتداولية ترعى مجموع العناصر المعرفية، التي يقدمها النص للقارئ"(٦).

Published by Arab Journals Platform, 2019

Jordan Journal of Islamic Studies, Vol. 15 [2019], Iss. 2, Art. 12

ومنه أيضا أن "المقصود بالسياق (التوالي)، ومن ثم ينظر إليه من ناحيتين أولاهما: توالي العناصر التي يتحقق بها التركيب والسبك، والسياق من هذه الزاوية يسمى (سياق النص)، والثانية: توالي الأحداث التي صاحبت الأداء اللغوي وكانت ذات علاقة بالاتصال ومن هذه الناحية يسمى السياق (سياق الموقف)"[٧].

والسياق القرآني خصوصا يُعنى به "ارتباط جريان معاني الألفاظ فيما بينها عن طريق النصوص القرآنية المنتظمة، مؤدية أغراضاً موضوعية هادفة"[٨].

المطلب الثاني: أهمية السياق القرآني في تجلية المعاني.

لعل من أوائل من نبّه إلى أهمية السياق تأصيلاً هو الإمام العز بن عبد السلام، إذ قال: "السياق مرشد إلى تبيين المجملات، وترجيح المحتملات، وتقرير الواضحات، وكل ذلك بعرف الاستعمال، فكل صفة وقعت في سياق المدح كانت مدحاً، وكل صفة وقعت في سياق الذم كانت ذمّاً، فما كان مدحاً بالوضع فوقع في سياق الذم صار ذمّاً واستهزاءً وتهكماً بعرف الاستعمال، مثاله: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾[٤٩: الدخان]، أي: الذليل المهان؛ لوقوع ذلك في سياق الذم"[٩].

كما تبرز أهمية اصطحاب السياق القرآني في العملية التفسيرية من خلال ما يأتي:

١- تستمد دلالة السياق القرآني أهميتها من كونها تفسيراً للقرآن الكريم بالقرآن نفسه؛ حيث إنها بيان المعنى من خلال تتابع المفردات والجمل والتراكيب القرآنية المترابطة، بل إن سياق الآية وسياق المقطع من أعلى مراتب تفسير القرآن بالقرآن؛ لأنه في محل واحد[١٠].

٢- أنه قد ثبت عن النبي ﷺ إعمال دلالة السياق واستخدامه لها وهذا دليل على أصالتها وأهميتها؛ وهو أفصح الناس لساناً وأعلمهم ببيان كلام الله تعالى[١١]، ومن أمثلة ذلك قوله ﷺ لعائشة –رضي الله عنها– عندما سألته عن قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾[٦٠: المؤمنون]، فقالت: هم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ فقال ﷺ: "لا يا بنت الصديق، ولكنهم الذين يصلون، ويصومون، ويتصدقون، وهم يخافون ألا يقبل منهم، ﴿أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾[٦١: المؤمنون][١٢]؛ فالنبي ﷺ استدل بلحاق الآية على المعنى المراد.

٣- إعمال الصحابة –رضوان الله عليهم– للسياق في تفسير القرآن الكريم، واعتمادهم إياه كأصل من أصول التفسير، ودليل ذلك ما قاله ابن عباس –رضي الله عنهما– لنافع بن الأزرق لما قال له: "يا أعمى البصر، يا أعمى القلب، تزعم أن قوماً يخرجون من النار، وقد قال الله ﷻ: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾[٣٧: المائدة]، فقال له ابن عباس: "ويحك اقرأ ما فوقها هذه للكفار"[١٣].

٤- أن السياق أداة من أدوات فهم النص، فهو الكاشف عن المعنى الدقيق للألفاظ، فإذا نزعت الكلمة من سياقها فإنها لا تؤدي المعنى المقصود من وضعها فيه.

٥- أن السياق القرآني هو الفيصل فيما يعرف بالمشترك اللفظي، فقد تدل اللفظة الواحدة على معان مختلفة بحسب ما يحتويها من سياقات، فمثلا كلمة (العين) قد تدل على العين الجارحة أو عين الماء أو صاحب الوجاهة في قومه أو غير ذلك، والذي يحدد معناها هو السياق وحده.

٦- للسياق أثر مهم في بيان الترابط بين أجزاء الآية الواحدة، والآيات في السورة الواحدة، والسور القرآنية[١٤].

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jois/vol15/iss2/12

ur and Al-Azazma: ??? ?????? ??????? ?? ????? ?? ??????? ??? ??? ??? ?????? Impact of the quranic context on exploring meaning as seen by Ibn juzayy

٧- أن لإهمال دلالة السياق خطراً على التفسير، ويؤكد ذلك ما جاء عن الإمام ابن تيمية –رحمه الله–، إذ يقول: "فمن تدبر القرآن وتدبر ما قبل الآية وما بعدها وعرف مقصود القرآن: تبين له المراد، وعرف الهدى والرسالة، وعرف السداد من الانحراف والاعوجاج، وأما تفسيره بمجرد ما يحتمله اللفظ المجرد عن سائر ما يبين معناه فهذا منشأ الغلط من الغالطين، لا سِيَّما كثِيرٌ ممَّن يتكَلَّم فيه بالِاحتمالات اللُّغويَّة"(١٥).

المبحث الثاني:
دلالة السياق القرآني عند ابن جزي.

المطلب الأول: اهتمام ابن جزي بدلالة السياق القرآني.

كان ابن جزي –رحمه الله– من المفسرين الذين أولوا السياق القرآني عناية خاصة تأصيلاً وتطبيقاً، وإن فاق الجانب التطبيقي عنده الجانب التأصيلي فيما يخص دلالة السياق تحديدا.

ويلاحظ أنه وضع في مقدمته عند حديثه عن أسباب الاختلاف بين المفسرين اثني عشر وجهاً للترجيح بين أقوال المفسرين، ومنها: أن يشهد لصحة القول سياق الكلام ويدل عليه ما قبله أو ما بعده.

فيدل اعتباره لدلالة السياق بوصفه مرجحاً عند تعارض الأقوال على اهتمامه بالسياق القرآني ومكانته عند هذا المفسر الفذ، والمتتبع لتفسيره يجد أنه لا يغفل دلالة السياق عند تفسيره للآيات، فهو يُعملها في مواطن كثيرة كتقدير ما حذف من الكلام، أو تحديد ما يعود عليه الضمير أو استنباط الأحكام الفقهية، وغير ذلك من الاستعمالات التي سندرسها . إن شاء الله . في المطلب الآتي.

المطلب الثاني: دلالات استعمال السياق عند ابن جزي.

١) دلالة السياق وجهاً من وجوه الترجيح عند ابن جزي: وذلك أنه وضع مجموعة من الوجوه التي يرجح بها بين أقوال المفسرين في مقدمته، وجعل إحداها السياق، إذ قال: "أن يشهد لصحة القول سياق الكلام ويدل عليه ما قبله أو ما بعده"(١٦).

ومن الأمثلة التطبيقية التي جاءت في تفسيره شاهدة على تأصيله السابق، ما جاء عند تفسيره لقوله تعالى في سورة البقرة: ﴿**ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ**﴾[٢: البقرة]، إذ يقول في المقصود من الكتاب: "هو هنا القرآن، وقيل: التوراة والإنجيل، وقيل: اللوح المحفوظ وهو الصحيح الذي يدل عليه سياق الكلام ويشهد له مواضع من القرآن"(١٧).

فهو بعد أن ذكر الأقوال في معنى الكتاب رجَّح أن يكون المقصود به اللوح المحفوظ، ومرتكزه في ذلك الترجيح دلالة السياق على هذا المعنى.

وكذلك عند تفسيره للآية الثالثة من سورة الأنعام: ﴿**وَهُوَ اللّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ**﴾[٣: الأنعام]، فقد ذكر أقوالاً عدة في متعلق قوله: ﴿**فِي السَّمَاوَاتِ**﴾، المعنى الأول: أنه إله في السموات والأرض وذلك بمعنى قوله تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاء إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيم**﴾[٨٤: الزخرف]، والمعنى الثاني: أن الله في السموات والأرض بعلمه كقوله: ﴿**وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِير**﴾[٤: الحديد]، ثم يقول: "ويترجح الثاني بأن سياق الكلام في اطِّلاع الله تعالى وعلمه، لقوله بعدها: ﴿**يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهرَكُمْ**﴾"(١٨).

ومن الأمثلة أيضاً على ترجيحه معنى بدلالة السياق كلامه في قوله تعالى: ﴿**ذَلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ**

Published by Arab Journals Platform, 2019

Jordan Journal of Islamic Studies, Vol. 15 [2019], Iss. 2, Art. 12

وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾[١٢: غافر]، إذ يقول: "والإشارة بذلكم يحتمل أن تكون للعذاب الذي هم فيه، أو إلى مقت الله لهم أو مقتهم لأنفسهم، والأحسن أن تكون إشارة إلى ما يقتضيه سياق الكلام؛ وذلك أنهم لما قالوا: فهل إلى خروج من سبيل، كأنهم قيل لهم: لا سبيل إلى الخروج، فالإشارة بقوله ذلكم إلى عدم خروجهم من النار"(١٩).

ويدلنا هذا الاعتماد الكبير على دلالة السياق في الترجيح عند ابن جزي على أصالة هذه الدلالة عنده، وعلى أهمية إعمال السياق القرآني بوصفه أصلاً من أصول التفسير التي يعتمد عليها للوصول إلى نتائج تفسيرية سليمة بعيدة عن الزلل والشطط.

٢) إعمال دلالة السياق في رد الأقوال المخالفة لها عند ابن جزي: وذلك أنه أثناء تفسيره يستبعد كل رأي يخالف دلالة السياق القرآني، ومن ذلك تفسيره لقوله تعالى: **﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاء ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾**[١٥: الحج]، فيقول: "وفي معنى الآية قولان: الأول: إن الضمير في ينصره لسيدنا محمد ﷺ، والمعنى على هذا: من كان من الكفار يظنّ أن لن ينصر الله محمدا فليختنق بحبل، فإن الله ناصره ولا بد على غيظ الكفار، فموجب الاختناق هو الغيظ من نصرة سيدنا محمد ﷺ، والقول الثاني: إن الضمير في ينصره عائد على من، والمعنى على هذا من ظنّ بسبب ضيق صدره وكثرة غمه أن لن ينصره الله.

فليختنق وليمت بغيظه، فإنه لا يقدر على غير ذلك، فموجب الاختناق على هذا القنوط والسخط من القضاء، وسوء الظنّ بالله حتى ييأس من نصره، ولذلك فسر بعضهم أن لن ينصره الله بمعنى أن لن يرزقه، وهذا القول أرجح من الأول لوجهين: أحدهما: أن هذا القول مناسب لمن يعبد الله على حرف؛ لأنه إذا أصابته فتنة انقلب وقنط، حتى ظنّ أن الله لن ينصره، فيكون هذا الكلام متصلاً بما قبله، ويدل على ذلك قوله قبل هذه الآية: "إن الله يفعل ما يريد" أي: الأمور بيد الله، فلا ينبغي لأحد أن يتسخط من قضاء الله، ولا ينقلب إذا أصابته فتنة. والوجه الثاني: أن الضمير في ينصره على هذا القول يعود على ما تقدّمه، وأما على القول الأول فلا يعود على مذكور قبله؛ لأن النبي ﷺ لم يذكر قبل ذلك بحيث يعود الضمير عليه، ولا يدل سياق الكلام عليه دلالة ظاهرة"(٢٠).

ومن الأمثلة على رده للأقوال بل عدها في غاية الضعف: ما جاء عند بيانه للمقصود من الخطاب في قوله تعالى: **﴿لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾**[٢٢: ق].

فبين أن المخاطب هنا الإنسان؛ لأنه كان غافلا عما لاقاه في الآخرة، ثم يذكر قولا آخرا بصيغة التمريض: "وقيل: هو خطاب لسيدنا محمد –صلى الله عليه وآله وسلم–، أي: كنت في غفلة من هذا القصص وهذا في غاية الضعف؛ لأنه خروج عن سياق الكلام"(٢١)، فهو ينص هنا على ضعف هذا القول وحجته في ذلك أنه خروج عن سياق الكلام، وهذا يؤكد إعمال ابن جزي دلالة السياق في رد الأقوال المخالفة لهذه الدلالة، كما أن الوقوف على شواهد عدة تخدم هذا المعنى يجعلنا نجزم بأن دلالة السياق كانت أصلاً متجذراً في ذهنية المفسر ابن جزي.

٣) تقدير ما حذف بحسب دلالة السياق: وهذا من الأصول التي لوحظ كثرة الاعتماد عليها في تفسير ابن جزي، ومن الأمثلة على ذلك ما جاء عند تفسيره لقوله تعالى: **﴿وَجَاء السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُواْ إِنَّ لَنَا لأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾**[١١٣: الأعراف]، فيقول ابن جزي: "هنا محذوف يدل عليه سياق الكلام وهو أنه بعث إلى السحرة"(٢٢).

ومن الأمثلة أيضا: ما جاء عند تفسيره لقوله تعالى: **﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلاَ تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾**[٧٦: الكهف]، فالضمير في {بَعْدَهَا} يحتاج إلى توضيح، وهذا ما لم يهمله ابن جزي –رحمه الله– فاستدل من السياق أن الضمير يعود على القصة وإن لم يتقدم لها ذكر، ولكن دلالة السياق تدل عليها(٢٣).

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jois/vol15/iss2/12

وكذلك ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿**هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَلَوْلاَ رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاء مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَؤُوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاء لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا**﴾[٢٥: الفتح]، فيقول ابن جزي: "يعني رحمة للمؤمنين الذين كانوا بين أظهر الكفار، بأن كف سيوف المسلمين عن الكفار من أجلهم أو رحمة لمن شاء من الكفار بأن يسلموا بعد ذلك، واللام تتعلق بمحذوف يدل عليه سياق الكلام تقديره: كان كف القتل عن أهل مكة ليدخل الله في رحمته من يشاء"[٢٤].

٤) دلالة السياق معتبرة في استنباط الأحكام الشريعة: بنى ابن جزي بعض آراءه الفقهية على دلالة السياق وهو الفقيه الذي لا يشق له غبار، فقد يعتمد دلالة السياق مؤسساً لحكم فقهي أو مؤكداً عليه.

ومن الأمثلة على ذلك تفسيره لقول الله تعالى: ﴿**فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ**﴾[١٨١: الأنعام]، **فيقول:** "القصد بهذا الأمر إباحة ما ذكر اسم الله عليه، والنهي عما ذبح للنصب وغيرها، وعن الميتة وهذا النهي يقتضيه دليل الخطاب من الأمر، ثم صرح به في قوله الآتي: ﴿**وَلاَ تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ**﴾[١٢١: الأنعام]" [٢٥].

وبعد ذلك يناقش ابن جزي –رحمه الله– من استدل بهذه الآية على وجوب التسمية على الذبائح، ويبين أن السياق يتناول الحديث عن تحريم الميتة، فإن حمل الكلام على سياقه لم يكن فيه دليل على وجوب التسمية على الذبائح، وإن حمل الأمر على العموم كان فيه دليل على ذلك[٢٦].

ومن الأمثلة أيضاً ما جاء في تفسيره لقوله تعالى: ﴿**يُرِيدُ اللّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا**﴾[٢٨: النساء].

إذ يقول: "يقتضي سياق الكلام التخفيف الذي وقع في إباحة نكاح الإماء، وهو مع ذلك عام في كل ما خفف الله عن عباده، وجعل دينه يسرا"[٢٧].

فهذا من الأدلة على تأكيده بقرينة السياق على أن المراد إباحة نكاح الإماء.

٥) دلالة السياق تحدد ما يعود عليه الضمير: وبيان ذلك أن ابن جزي يحدد ما يعود عليه الضمير في الكلام ومستنده في ذلك الدلالة التي يحددها السياق، فالسياق أصل معتبر في ذلك التحديد عنده وكثرة ورود ذلك في تفسيره من أقوى المؤشرات على تعميمنا السابق.

ومن أمثلة ذلك عنده:

- جزمه بما يعود عليه الضمير في لفظة {مَعَهُمْ}، في قوله تعالى: ﴿**وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللّهِ يُكَفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا**﴾[١٤٠: النساء]، إذ يقول: "والضمير في قوله: معهم يعود على ما يدل عليه سياق الكلام من الكافرين والمنافقين"[٢٨].
- تحديد ما يعود عليه الضمير، وإن كان محذوفا: ومثاله ما جاء في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿**إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلاَلاً فَهِيَ إِلَى الأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ**﴾[٨: يس]، فقال: إن الضمير في هي يعود على الأغلال، أو على الأيدي على الرغم من أنه لم يسبق لها ذكر، ولكنها تفهم من سياق الكلام كما يقول ابن جزي، ويعلل ذلك بقوله: "لأن المغلول تضم يداه في الغل إلى عنقه"[٢٩].

ومثل ذلك تعيينه لما يعود عليه الضمير في قوله تعالى: ﴿**فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ**

Published by Arab Journals Platform, 2019

Jordan Journal of Islamic Studies, Vol. 15 [2019], Iss. 2, Art. 12

بِالْحِجَابِ﴾[٣٢: ص]، فيقول: "الضمير للشمس وإن لم يتقدم ذكرها، ولكنها تفهم من سياق الكلام وذكر العشي يقتضيها، والمعنى حتى غابت الشمس"(٣٠).

وشواهد ذلك كثيرة في تفسير ابن جزي.

٦) إطلاق ابن جزي تعميمات حول السياق يمكن أن تكون قواعد تطبق على كل المواضع المشابهة، ومن ذلك قوله: "وحيث ما كان سياق الكلام في أهوال يوم القيامة، والتخويف بها نفيت الشفاعة على الإطلاق، ومبالغة في التهويل. وحيث ما كان سياق الكلام تعظيم الله نفيت الشفاعة إلّا بإذنه"(٣١)، وذلك خلال تفسيره لقوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُون﴾**[٢٥٤: البقرة].

٧) استخراج الهدايات من خلال السياق، ومثال ذلك قوله: "ويقتضي سياق الكلام ذم الجدل"(٣٢) وذلك في معرض تفسيره لقوله تعالى: **﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾**[٥٣: الكهف].

الخاتمة.

يتلخص القول في نهاية هذا البحث بنتائج تم التوصل إليها بعد مدارسة هذا الأصل العظيم من أصول التفسير في تفسير عظيم جم الفوائد وهو تفسير ابن جزي المسمى (التسهيل لعلوم التنزيل)، ومن أهم هذه النتائج:

١- يتخذ مصطلح "السياق" معناه من أصله اللغوي المذكور في المعاجم، والذي يدور حول التتابع والانسجام.

٢- للسياق القرآني أهمية بالغة في الكشف عن المعاني، ولقد اعتنى به المفسرون منذ القدم، وأعملوه في تفاسيرهم الجليلة.

٣- لابن جزي عناية خاصة بدلالة السياق القرآني تأصيلاً وتطبيقاً.

٤- السياق القرآني أصل من أصول التفسير عند ابن جزي وظهر ذلك من خلال: ترجيحه للأقوال بناءً على دلالة السياق، ورده لبعض الأقوال أيضاً بالارتكاز على السياق، وتقديره لما حذف من الكلام وتعيينه لما يعود عليه الضمير واستنباطه للأحكام الشريعة، واستخراجه للهدايات وإطلاقه للتعميمات، وكل ذلك بالاعتماد على دلالة السياق.

التوصيات.

١- أوصي الباحثين بالتوجه للعناية بدلالات السياق وحاكميته عند المفسرين؛ وذلك أن للسياق أثراً بارزاً في توجيه المعنى التفسيري وضبطه.

٢- أوصي الباحثين بالعناية بمؤلفات علماء الغرب الإسلامي وخصوصا من لم يحظوا بالعناية الكافية.

الهوامش.

(١) ابن فارس، أبي الحسين أحمد بن فارِس بن زكَرِيّا، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السَّلام محمد هَارُون، اتحاد الكتاب العرب، ١٤٢٣هـ، ج٣، ص٩٠.

(٢) ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين، (ت ٧١١هـ)، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، (ط٣)، ١٤١٤هـ، ج١٠، ص١٦٦.

(٣) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد جار الله، (ت ٥٣٨هـ)، **أساس البلاغة**، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (ط١)، ١٤١٩هـ، ج١، ص٤٨٤.

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jois/vol15/iss2/12

ur and Al-Azazma: ??? ?????? ??????? ?? ????? ?? ??????? ??? ??? ??? ?????? Impact of the quranic context on exploring meaning as seen by Ibn juzayy

(٤) إبراهيم مصطفى، ورفاقه، **المعجم الوسيط**، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة، ج١، ص٤٦٥.

(٥) حبلص، محمد يوسف، **البحث الدلالي عند الأصوليين**، مكتبة عالم الكتب، (ط١)، ١٤١١هـ، ص٢٨.

(٦) بودراع، عبد الملك، **الخطاب القرآني وعلوم الآلة الحديثة، اللسانيات أنموذجاً**، مجلة الإحياء، الرابطة المحمدية للعلماء، ١٤٣٨هـ.

(٧) تمام حسان، **قرينة السياق**، بحث قُدِّم في (الكتاب التذكاري للاحتفال بالعيد المئوي لكلية دار العلوم)، مطبعة عبير للكتاب، ١٤١٣هـ، ص ٣٧٥.

(٨) العزاوي، وضاح كافي حلومي محمد، **أثر السياق القرآني في الترجيح بين المعاني**، ص٩٥.

(٩) ابن عبد السلام، العز، **الإمام في بيان أدلة الأحكام**، تحقيق: رضوان مختار بن غريبة، دار البشائر الإسلامية، (ط١)، ١٤٠٧هـ، بيروت، ص١٥٩.

(١٠) المطيري، عبد الرحمن عبد الله سرور جرمان، **السياق القرآني وأثره في التفسير: دراسة نظرية وتطبيقية من خلال تفسير ابن كثير**، رسالة ماجستير في التفسير وعلوم القرآن، إشراف: خالد بن عبد الله القرشي، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٩هـ، ص٧٦.

(١١) المطيري، عبد الرحمن عبدالله سرور جرمان، **السياق القرآني وأثره في التفسير**، ص٧٩.

(١٢) الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى السلمي، **الجامع الصحيح**، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، حديث رقم ٣١٧٥، ج٥، ص٣٢٧.

(١٣) الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر، (ت ٣١٠هـ)، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، (ط١)، ١٤٢٢هـ، ج٨، ص٤٠٦.

(١٤) نشوان عبده ورضوان جمال، السياق وأثره في خدمة التفسير المقاصدي عند ابن عاشور، **مجلة الفكر الإسلامي المعاصر**، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، العدد ٧٣، ١٤٣٤هـ، ص٣٨.

(١٥) ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني (ت ٧٢٨هـ)، **مجموع الفتاوى**، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد ابن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ، ج١٥، ص٩٤.

(١٦) ابن جزي، محمد بن أحمد بن محمد، (ت ٧٤١هـ)، **التسهيل لعلوم التنزيل**، تحقيق: محمد بن سيدي محمد مولاي، دار الضياء للنشر والتوزيع، الكويت، (ط١)، ١٤٣٤هـ، ج١، ص٨٣.

(١٧) **المرجع السابق**، ج١، ص ١٨٦.

(١٨) **المرجع السابق**، ج١، ص٥٣٩.

(١٩) **المرجع السابق**، ج٣، ص١٣٠٢

(٢٠) **المرجع السابق**، ج٣، ص٩٨٢.

(٢١) **المرجع السابق**، ج٤، ص١٤٢٤.

(٢٢) **المرجع السابق**، ج٢، ص٦١٦.

(٢٣) **المرجع السابق**، ج٢، ص٩٠٦.

(٢٤) **المرجع السابق**، ج٤، ص١٤٠٤.

(٢٥) **المرجع السابق**، ج١، ص٥٧١.

(٢٦) **المرجع السابق**، ج١، ص٥٧١.

(٢٧) **المرجع السابق**، ج١، ص٤١٦.

(٢٨) **المرجع السابق**، ج١، ص٤١٦.

Published by Arab Journals Platform, 2019

Jordan Journal of Islamic Studies, Vol. 15 [2019], Iss. 2, Art. 12

(٢٩) ابن جزي، **التسهيل لعلوم التنزيل**، ج٣، ص١٢١٧.
(٣٠) **المرجع السابق**، ج٣، ص١٢٦٧.
(٣١) **المرجع السابق**، ج١، ص٣١٣
(٣٢) **المرجع السابق**، ج٢، ص٩٠٠.

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jois/vol15/iss2/12 10